

اللغة العربية والهوية الوطنية بين المبدأ والتطبيق

سمراء شلواش

طالبة دكتوراه

إشراف: د/ عز الدين صحراوي

مخبر: الموسوعة الجزائرية الميسرة

جامعة الحاج لخضر باتنة 1

تاريخ القبول: 2018/01/ 15

تاريخ الإرسال : 2017/11/20

الملخص:

Abstract :

This article deals with the relationship between human language and society in the areas of communication and adaptation to the requirements of life and need, and became the Arabic language of social identity and national character should evolve to keep pace with society and the lives of its members, and the search sought to exit the Arabic language from the circle of marginalization and neglect to the circle of activity and use, Use Arabic to be the language of a real society.

Keywords: Arabic language, identity, neglect, use, circulation, Relationship

يتناول هذا المقال علاقة الإنسان باللغة والمجتمع في مجالات التواصل والتكيف مع متطلبات الحياة وحاجتها ، وأضحت اللغة العربية هوية اجتماعية وسمة وطنية ينبغي أن تتطور لتواكب المجتمع وحياة أفراد ، وجاء البحث ساعيا للخروج باللغة العربية من دائرة التهميش والإهمال إلى دائرة النشاط والاستعمال ولا يكون ذلك إلا بتعميم استخدام اللغة العربية لتكون لغة مجتمع حقيقية .

الكلمات المفتاحية : اللغة

العربية ، هوية . إهمال ، استعمال ، تعميم . علاقة .

*** **

من بين المسائل والقضايا المعقدة التي استحوذت على اهتمام اللغويين والمفكرين ، وأثارت عدد من الأسئلة الهامة حقيقة العلاقة بين الهوية الوطنية واللغة العربية ومدى الارتباط الوثيق بينهما .

فاللغة العربية هي الجزء المشترك بين أبناء الأمة العربية ووطنهم المعنوي وهي التي تحفظ للمجتمع ودائعه الثقافية وتضمن له تماسكه الاجتماعي ووحدته الفكرية ، لذلك شكلت على الدوام أقدم وأبرز تجليات الهوية العربية وإحدى مقوماتها الجوهرية والعلاقة بينهما وثيقة وحيوية ، لأن اللغة العربية تحمل في طياتها أهم الملامح المكونة للهوية الذاتية الخاصة بالأمة العربية ، غير أنها تواجه اليوم وضعا مأساويا فقد غزت اللغات الأجنبية ديارها ، وغلبت عقدة النقص على أبنائها فرموا لغتهم وراء ظهورهم وأهملوها وراحوا يبحثون عن الرقي والتقدم في غيرها من اللغات العالمية فباتت الأخطار تهددها من كل جانب .

عرّف اللغويون اللغة بتعريفات كثيرة، ركزت على جوانب متعددة من خصائصها واقتصر البحث على إيراد بعض التعريفات التي تبرز أهمية اللغة في التعبير عن الأفكار و إيصالها إلى الآخرين.

جاء في لسان العرب ل (ابن منظور ت 711هـ): ".....اللغة من الأسماء الناقصة، و أصلها لغوة وقيل لغا يلغو ولغا فلان عن الصواب و عن الطريق إذا مال عنه، و اللغو: النطق يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها".¹

لم ترد لفظة (لغة) في القرآن الكريم، إنما وردت ألفاظ مشتقة منها دالة على معنى الكلام القبيح، كما في قوله تعالى: " لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا." سورة الواقعة، الآية 25.² لكن لفظة (لسان) وردت في القرآن الكريم، دالة على معنى النطق، كما في قوله تعالى: " بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ." ³

عرف ابن جني (ت392هـ) اللغة بأنها: "...أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم..."⁴ من هذا القول نستخلص أن ابن جني يعتبر اللغة عبارة عن ملفوظات يراد بها التعبير

والإظهار والإفصاح عما يريد المرء أن يبلغه ويراد به الغاية والمرمى والمقصد وهو الباعث على فعل التعبير. ومنه فإن ابن جني في تعريفه يعرض طبيعة اللغة وعناصرها الصوتية ووظائفها التعبيرية وأن محاولته في تفسير الظاهرة اللغوية هي الأرجح، وهو من أشمل تعريفات اللغة بدلالة ما توصل إليه العلم الحديث.

ما دامت اللغة العربية تعتبر الوعاء الحاوي للثقافة، ووسيلة للتفكير الذي يحدد رؤية العالم العربي ونواميسه وهذا ما يضعنا أمام تساؤل: فهل معنى ذلك أن معرفتها تشكل أهم ركيزة لتحسين الهوية العربية؟

بما أن كل فرد في حاجة إلى الحفاظ على الهوية الخاصة به، ولا يتم ذلك إلا في إطار مشاركته للجماعة، واللغة العربية هي الوسيلة الرئيسية إن لم تكن الوحيدة في تحقيق ذلك. وهذا ما أكدته فلوريان كولاس في قوله "إن أفعال اللغة هي أفعال الهوية".⁵ من هذا القول نستخلص أن طريقة الفرد في التحدث تلعب دوراً في تشكيل هويته داخل المجتمع وذلك نظراً لحقيقة أن سمة واحدة لاستعمال اللغة تكفي لتعيين علاقة شخص ما بجماعة ما، فحين نصادق شخصاً ما فإننا نقوم بتشكيل أحكام عليه من خلال طريقته في الكلام ولهذا فإن سمة واحدة تكفي لتؤمن أو تقصي شخص ما من أي جماعة اجتماعية.

وهذا ما يبرهن عليه هيدسون في قوله: "أن اللغة تستخدم رمزا للانتماء إلى جماعة بعينها، فالناس يستخدمون الكلام حتى يحددوا الجماعة الاجتماعية التي ينتمون إليها"⁶ من هذا القول نستطيع أن ننتهي إلى نتيجة قوامها أن الهوية الفردية والهوية الاجتماعية تتوسطان اللغة لأن " السمات اللغوية هي رباط يقرن الفرد بالهويات الاجتماعية"⁷.

وعليه فإن اللغة حدث اجتماعي وقوة اجتماعية تعمل على تماسك النسق اللغوي بقوة شديدة لدرجة أن لا يستطيع فيها الفرد تغيير اللغة ومنه فإن أشكال العلامات مقيدة بالنظام الاجتماعي وهذا ما توصل إليه جوزيف في قوله: " العلامة اللغوية تجسد

العلاقات الاجتماعية لمستعملها"⁸. "الأصل في وظيفة اللغة ، التعبير عما يريد به المجتمع ،

وهذا التحديد في أصلها ووظيفتها واجتماعيتها جعلها تتميز بثلاث خصائص مهمة :

- 1- تمثيلها في نظم يشترك في إتباعها المجتمع ويتخذها أفرادها أساسا لتنظيم حياتهم الجمعية وتنسيق العلاقات التي تربط بينهم .
- 2- أنها نتاج العقل الجماعي .

3- لا يمكن للفرد أن يخرج عنها أو عن نظامها وإلا واجه عقاب المجتمع وازدراءه"⁹.

ومنه نستطيع أن ننتهي إلى نتيجة قوامها أن الهوية الاجتماعية حاضرة في اللغة و يترتب عن حضورها شعور الفرد بماهيته وشعوره بالانتماء وهذا ما يؤكد جوزيف: "بناء الهوية هو بناء للماهية"¹⁰ . وفي غيابها يمكن للمرء أن يشعر بإحساس بالعزلة.

تعتبر اللغة العربية الوعاء الذي يحوي أسى ما يمكن أن يتعلق بالفرد من معان حيث لا تغدو تلك الرموز أو التراكيب فحسب بل تعبر عن الوجود والهوية العربية ، وهذا ما يشير إليه جوزيف في كتابه (اللغة والهوية): "... صار تأويل الهوية يعد أمرا مركزيا للوجود الحقيقي للغة وأدائها .."¹¹. من حيث أنها حاضنة لعوامل الارتباط العضوي بين الماضي والحاضر والمستقبل ومصدر تحديد الملامح الأساسية المعبرة عن طبيعة وخصوصية المجتمع والأمة العربية، فهي عنصر شحن ومؤسسة اتصال وعامل فعال في توحيد أفراد الأمة العربية."¹² "فبفضل اللغة تتصرف شؤون الفرد ويتأكد وجوده وانتماؤه لمجموعته البشرية وبفضلها تنمو علاقات أعضاء الأمة وتتطور حياتهم وترتقي حضارتهم"¹³.

بناء على حقيقة أنه كلما كانت اللغة العربية قوية ثرية حية متفاعلة مع الواقع ومستجيبة لمتطلبات أبنائها ومواكبة نشاطاتهم ، كلما تألقت الهوية الوطنية وتوهجت ورسخت أقدامها في الأرض ، ومنحت أصحابها دفقات غزيرة من القدرة على مواجهة التحديات وتخطي العراقيل وإثبات الذات وصنع الأحداث بينما يؤدي ضعفها وتراجعها إلى ضمور الهوية ما أثبتته أليكس ميكشيلي في قوله: " إذا كانت الهوية حقيقة تنمو، تتكامل وتنضج، إذا كانت حقيقة وجودية تنطوي على عوامل وجودها وبذور نمائها فإنها

وذلك هو منطلق الأشياء، تنطوي على بذور فناءها و انشطارها حيث تتعرض و بفعل عوامل متعددة تربوية اجتماعية ثقافية للتشويه والانكسار¹⁴..

جاء في الميثاق الوطني أن اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري ولا يمكن فصل شخصيتها عن اللغة الوطنية التي تعبر عنها¹⁵ "إذا لا وجود للغة خارج من يفكرون ومن يتكلمون فهي تنسب جذورها في أقصى أعماق الشعور الفردي، إلا أن هذا الأخير ليس إلا عنصرا من عناصر الشعور الجماعي الذي يفرض قانونه على كل فرد".¹⁶

ولما كانت اللغة العربية من أبرز مقومات الشخصية الوطنية فإن المجتمع الجزائري بقي محافظا على عروبه ولغته داعيا إلى اعتبارها لغة رسمية في المدارس والإدارة يقول البشير الإبراهيمي: إن لغة العرب قطعة من وجود العرب وميزة من مميزاتهم ومراة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والسيادة¹⁷ "ذلك يقول أشلي مونتاكو: "إن الوساطة المهمة التي يتحضر بها الإنسان ما هي إلا نظام من الرموز يتوسط بين المؤثر والمتأثر وهذا النظام هو اللغة، فاللغة تضيف بعدا جديدا إلى عالم الإنسان".¹⁸

فثقافة كال أمة كامنة في لغتها وفي معجمها وفي نحوها وفي نصوصها ولكن اللغة العربية الآن تعاني من تحديات داخلية وأخرى خارجية تطرح أزمة حقيقية تنظيرا وتعلما واستخداما. فلا بد أن نتمسك بلغتنا ونجعلها وسيلتنا للتعبير والاستعمال عن طريق تفعيلها داخليا وخارجيا. و هذا ما يؤكد فلوريان كولماس في قوله أن: "قيمة الكلمات تعتمد على الاستعمال العام".¹⁹

إن حياة اللغة العربية من حيث النمو والتقدم أو التأخر والعجز يرتبط بمدى استعمالها في المجتمع ، واللغة العربية بما أنها اتصال وفعل وتأثير في الآخرين تلعب دورا هاما في المجال العلائقي وتفعيل فعلها في تماسك المجتمع وثقافته الاجتماعية وتعمل على بلورة الهوية الوطنية فيه²⁰. لتكون بذلك "فهرسا لحضارة كل مجتمع تتأثر بها وتؤثر فيها بحيث يصبح الفصل بينهما متعذرا".²¹

إن أزمنا اللغوية ليست أزمة اللغة ذاتها وإنما هي أزمة التعامل مع هذه اللغة ، أي أن العلة ليست في اللغة وإنما العلة في الذين يتعاملون مع هذه اللغة " ونجد الفكرة ذاتها مجسدة عند جوليت غارمادي في قولها: "...إن معرفة اللغة من جانب مستعملها والموقف الذي يتخذه تجاهها، والاستعمالات التي يمارسونها، هي كلها معايير لنجاح تخطيط ما أو فشله." ²² بحسب رأينا فإن السبب وراء هذا التفاوت يعود إلى المران والممارسة.

إن اهتمامنا باللغة العربية وحرصنا على تنميتها وجعلها لغة علم وعمل توظف في شتى القطاعات بوصفها أداة فعالة، وذات مردودية ايجابية بالنسبة لمستخدميها وأن لا يقتصر دورها على قطاع معين دون الآخر ، بل تعمم وتكون لغة البيت والشارع والمعمل هو الذي دفعنا إلى طرح مشكلات حقيقية في حياتنا اللغوية ايماننا بوحدة المصير وحرصنا على تماسك المجتمع الجزائري على الأقل هو الذي حفزنا إلى محاولة الدفاع عن اللغة العربية ، والمطالبة بحمايتها من أخطار الغزو اللغوي .

فالاقتصار على استعمال اللغة العربية هو وحده الذي يمثل تناغما وانسجاما مع بقية العناصر المكونة للهوية الجماعية كما أن استعمالها استعمالا كاملا وشاملا لا يمكن إلا أن يعزز بالانتماء إلى الهوية الجماعية عند المتحدثين بها ولذلك فإن المصالحة مع اللغة العربية كلفة هوية جماعية للمجتمع الجزائري لا يمكن أن تحقق هدفها ومبتغاها إلا من خلال هيمنة اللغة العربية في كل الأصعدة الاجتماعية والثقافية والتعليمية حيث لا يقبل كل من استعمالها ومسايرتها للتطور أي نوع من الإقصاء ، وهذا ما أشار إليه جون جوزيف في قوله: "إن غلبة اللغة بغلبة أهلها وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم...." ²³

فاللغة العربية بالنسبة إلينا عنصر أساسي في هويتنا وشخصيتنا وفي طريقة تفكيرنا ومن هنا نشأ ذلك التلازم المنطقي والتاريخي بين العربية والوطنية فلو " وجدنا وسيلة للتحكم في اللغة التي يتعلمها الناس فإننا نستطيع التحكم في أسلوبهم في التفكير" ²⁴ إذ من الخطأ الفادح إلغاء أو فصل الوطنية عن اللغة العربية بالنسبة للمجتمع العربي بل لا بد من تضافر الجهود لنخلق لدى الفئات الاجتماعية حب اللغة الوطنية ونوعي

لديهم الروح الوطنية والشخصية العربية ونعمل على إعطاء هذه اللغة مكانتها باعتبارها لغة وطنية رسمية وأن نبذل المزيد من الجهود اللغوية حتى ننمي القدرات اللغوية لدى تلامذتنا، وهذا ما ذهب إليه جون ديوي في "إنه من الضروري أن تثار في التلميذ غريزة اللغة وأن تجذب اللغة إلى هذا التلميذ بطريقة اجتماعية ليحقق اتصاله المستمر بالواقع"

25

وحري بنا أن نقف إلى جانب اللغة العربية في صراعها مع هذه السيول المتدفقة من الألفاظ والمصطلحات الجديدة خاصة أن التطور والتقدم أمر محتوم يفرضه علينا الواقع الذي نعيشه إذا كنا فعلاً نريد اللحاق بالركب الحضاري ، وبالتالي فإن هذا التطور والتغيير سيصيب الألفاظ والدلالات نظراً لأن اللغة كائن حي يتأثر ويؤثر تبعاً لتغيير المجتمع والتقدم الحضاري " إذ لابد لكل لغة في كل أمة أو مجتمع أن تسير هذا التطور والتقدم كي تسعف المتحدثين بها على إيجاد الألفاظ لتدل على هذه المخترعات الجديدة ولكي تسهل على المتلقين بها التفاهم فيما بينهم ولا تعجز على تلبية حاجاتهم".²⁶

إن هذا الدفاع عن اللغة الوطنية هو في الواقع دفاع عن الوجود الحضاري المتميز للشخصية الوطنية ، وإن سيادة أمتنا من سيادة لغتنا الوطنية ، فهي غايتنا التي نصبو من خلالها إلى تحقيق وحدتنا اللغوية الوطنية فلا أمة من دون لغة وطنية، ولا تاريخ ولا حضارة إلا من خلال هذه اللغة. وهذا يقرره فندريس في كتابه "اللغة": ".... اللغة من أعجب المبتكرات التي أظهرها التطور البشري، فيجب الوقوف عندها بل إطالة الوقوف لنرى الدور الذي تؤديه على وجه الدقة، والنصيب الذي تقوم به في التطور العقلي، ثم ما هي صلوات الفرد بالجماعة فيما يختص بإنتاج هذه الأداة القيمة وإكمال ما فيها من نقص على مر الأزمنة".²⁷

ملخص القول أن الواقع الراهن قد أثبت لنا مدى الارتباط الوثيق بين الهوية الوطنية واللغة العربية ، كما أكد لنا أنه متى استعادت اللغة العربية حيويتها على يد أبنائها فإنها حتما ستستعيد وبشكل تلقائي ملامح شخصيتها وهويتها ، وهذا مفاده الانتقال

من دراسة اللغة المتصورة نظرياً إلى اللغة الممارسة بالفعل، ولا معنى للبحث في اللغة إن لم يكن مجال تدريب يمكن من الإجابة في رصد أنماط الممارسة اللغوية الفعلية.

الهوامش :

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان ، ط3، م3، 2004م. مادة (ل غ ل).
- 2 - سورة الواقعة، الآية 25
- 3 - سورة الشعراء، الآية 195.
- 4 - ابن جني، الخصائص، تج: محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر د ط، 1902م. 33/1
- 5- فلوريان كولماس، دليل السوسيو لسانيات، تر: خالد الأشهب و ماجدولين النهيي المنظمة العربية للتربية، بيروت لبنان، ط1، 2009م. ص 679.
- 6 - هـدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 2002م، ص 304
- 7 - فلوريان كولماس، دليل السوسيو لسانيات، ص 684
- 8 - جون جوزيف، اللغة والهوية، تر: عبد النور الخراقي، عالم المعرفة، العدد 342 المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، 2007م، ص 67
- 9 - علي عبد الواحد وافي. اللغة والمجتمع ، دار النهضة بمصر ، 1971 ، ص 2
- 10 - جون جوزيف، اللغة والهوية، ص 10
- 11 - المرجع نفسه ، ص 15
- 12 - غلاب عبد الكريم ، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير ، لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 1998م، ص 36
- 13 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د ط 1975م، ص 20
- 14 - أليكس ميكشيلي، الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم، دمشق، سوريا، د ط. 1993م... ص 08.
- 15 - الميثاق الوطني ص 10
- 16 - فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، د ط. د ت ، ص 10
- 17 - أحمد بن نعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1981 ، ص 180
- 18 - أشلي مونتاكو، طبيعة الإنسان البيولوجية والاجتماعية، تر: أحمد حسن الرحيم النجف مطبعة الأدب، د ط. 1385هـ/ 1965م. ص 66
- 19 - فلوريان كولماس اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 263، نوفمبر، 2000م، ص 09

- 20- نزار الزين ، لغة التعليم والوحدة الوطنية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، لبنان ، معهد الإنماء العربي ، 1994 ، ص 42 .
- 21 - نايف خرما ، علي الحجاج ، اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمها ، عالم المعرفة ، العدد 126 شوال 1408هـ/1988م ، 122
- 22 - جولييت غارمادي ، اللسانة الاجتماعية ، تعر: خليل احمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت لبنان ، ط1. 1990م ، ص 238
- 23 - جون جوزيف ، اللغة والهوية . ص 7
- 24 - هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ص 163
- 25 - جون ديوي ، المدرسة والمجتمع ، تر: أحمد حسن الرحيم ، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت . ص 69
- 26 - إبراهيم محمود ، اللغة العربية في مؤسسات التعليم العالي والجامعي ، الموسم الثقافي السادس ، مجلة المجمع اللغوي الأردني ، عمان الأردن ، 1988م ، ص 08
- 27 - فنديرس ، اللغة ، ص 9
- المراجع :
- القرآن الكريم. برواية عاصم
- 1 - إبراهيم محمود ، اللغة العربية في مؤسسات التعليم العالي والجامعي ، الموسم الثقافي السادس ، مجلة المجمع اللغوي الأردني ، عمان الأردن ، 1988م
- 2 - أحمد بن نعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1981 م
- 3 - أشلي مونتاكو ، طبيعة الإنسان البيولوجية والاجتماعية ، تر: أحمد حسن الرحيم النجف مطبعة الأدب ، د ط . 1385هـ/1965م .
- 4 - أليكس ميكشيللي ، الهوية ، تر: علي وطفة ، دار الوسيم ، دمشق ، سوريا ، د ط . 1993م
- 5 - جولييت غارمادي ، اللسانة الاجتماعية ، تعر: خليل احمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت لبنان ، ط1. 1990م ،
- 6 - جون جوزيف ، اللغة والهوية ، تر: عبد النور الخراقي ، عالم المعرفة ، العدد 342 المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون ، الكويت ، 2007م .
- 7 - جون ديوي ، المدرسة والمجتمع ، تر: أحمد حسن الرحيم ، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت .
- 8 - ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، تر: كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، د ط 1975م .
- 9 - علي عبد الواحد وافي . اللغة والمجتمع ، دار النهضة بمصر ، 1971 ،

- 10 - غلاب عبد الكريم ، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير ، لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 1998م،
- 11 - فلوريان كولماس، دليل السوسيو لسانيات، تر: خالد الأشهب و ماجدولين النهيي المنظمة العربية للتربية، بيروت لبنان، ط1. 2009م.
- 12 - اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 263، نوفمبر، 2000م
- 13 - فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، د ط. د ت ،
- 14- نايف خرما ، علي الحجاج، اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، العدد 126 شوال 1408هـ/1988م،
- 15- نزار الزين ، لغة التعليم والوحدة الوطنية ، مجلة الفكر العربي المعاصر، لبنان ، معهد الإنماء العربي ، 1994 ، .
- 16 - هـدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط3. 2002م،
- 17 - الميثاق الوطني